ثقافة سن المعاش

إنها ثقافة الموظفون فى الأرض يتوارثونها موظف عن موظف ليس بواسطة جينات وراثية ولكنها جينات من نوع آخر إنها جينات تنتقل عبر الهواء الموجود بين مكاتبهم!! فسن المعاش يعنى للموظف (ظهر ينحنى – بداية أقرب ما يكون للنهاية – حزن ووجوم – انسحاب من الحياة – ضعف وقلة حيلة – انتظار المرض وإن لم يكن فهو الموت).

بقلم:
فدوى على
أخصائية نفسية

فنجد الأب ينزوى فى بيته ويجواره ضوء خافت يسلطه على جريدته ونظارة ضخمة تستقر فوق أنفه تارة ينظر من خلالها إلى الجريدة وتارة أخرى يرفع عينيه من فوقها ليتابع ما يحدث حوله بفتور ثم سرعان ما يتحول إلى جريدته ليعاود قراءة ما قرأه مرة أخرى وهكذا يقتل وقته ويجعل أيامه تتساقط من بين أنامله دون أن ينتبه – فقد صار سن المعاش بالنسبة له سن الاستعداد للرحيل دون عودة فيجب الاستسلام لذلك وتسليم الراية لأبنائه دون مقاومة فقد صارت الزوجة هى المتحدث الرسمى فى البيت وصار الأبناء أكثر تمرد وقسوة فهم لا يعبئون به وقد صار لاحول له ولا قوة! ولم لا فهى ثقافته التى تثقفهم بها فهم يلاحقونه بعيونهم وكأنه فعل جريمة لا تغتفر وهو يتوارى بعيداً عنهم لينظر إليهم وبداخله – شىء من الخوف – وينظر إلى نفسه نظرة أكثر تأملاً فقد أفنى حياته وهو يتسابق مع الزمن من أجل حفنة أولاد لم يستحقون أب مثله فلم يخرج من بينهم شبيه له فى كفاحه وإنجازاته وزوجة لم تكن هى السندريلاً التى تليق به فيرى أن عمره ما هو إلا محصلة كبيرة لخسارة أكبر فعمره الماضى ضاع هباءاً وعمره الحاضر صار كابوساً لا يفارقه ويتساءل فى حزن ووجوم – أين عمرى؟؟؟

وعندما يصبح كالضيف الثقيل الذى لا يكل ولا يمل تصرخ زوجته فى وجهه ليفارقهم أو يرحل. فيذهب هارباً إلى المقهى يلعب الدمينو والطاولة ويصبح كالمراهق لا حديث له سوى عن زوجة فلان وابنة علان – والحديث عن بطولاته وإنجازاته التى أعدمها سن المعاش وان لم يكن فهناك حديث آخر هو حديث الحسرة والندم على شبابه الذى ولى وموته الذى هل – لقد وصل لسن المعاش إذن ليمت أو ليصمت..

نعم هذا ملخص صغير لبعض الأفكار الكثيرة التى تدور فى ذهن صاحب الستين عام.

وهكذا يحيا قد نسى أن سن المعاش له بريق خاص بريق يصل إلى درجة عالية من النقاء فتجعل الشخص يعيد تفكيره فى أشياء لم يكن لديه الوقت ليفكر فيها.

وأول هذه الأشياء وأهمها علاقته بالله سبحانه وتعالى فهى علاقة ذات شفافية وروحانية لن يدركها إلا من أرادها فكم صار بعيداً وحان الوقت ليصبح أكثر قرباً وليست بالصلاة وحدها يبلغ مناه فهناك ينابيع أخرى ينهل منها كأداة النوافل وحضور مجالس الفقهاء والشيوخ والتزود من سنن نبينا والمسارعة إلى فعل الخيرات – فقد صار الوقت القصير طويلاً فيالا هنائك فقد تضاءلت المسئوليات وتحققت أغلب الأمنيات فبالرغم من مرور ستون عاماً على وجودك فى هذه الحياة..... ستون عاما فعلوا فعلتهم بشبابك ووسامتك وتألقك لكن مكاسبك أكبر بكثير فأنت أب صالح لذرية صالحة فقد أنعم الله عليك بأبناء ناجحين حتى وان أخفق بعضهم فلابد أن يكون هذا ابتلاء من الله عز وجل ولأنه ابتلاء إذن فهو يحبك – فالمكسب لك فى الحالتين – وهناك زوجة صالحة رقيقة درب طويل وصبر أطول عليك وعلى أبنائك.

نعم فأنت فى هذه المرحلة لديك أهداف يجب أن تحققها فالحياة مليئة وان أنسد طريق أمامك ألف ألف طريق يمكنك أن تسكله فالفرصة ميهأة لك لاكتساب مافقدته عبر دوامة الحياة.

صل من قطعك من رحمك وأصلح بين المختصمين، ساعد المحتاجين، فكر فى عمل تحبه واعمله وتقرب أكثر من الله عز وجل، افعل ما كنت تتمناه وأن كانت يد الزمن بطشت بك فيدك الآن هى الأعلى – تذكر والديك وأدعو لهم بالرحمة وانظر إلى أبنائك وأدعو له بالصلاح وانظر إلى نفسك وأسأل الله أن يرضيك ويرضى عنك ويوفقك لما يحبه ويرضاه واستغفره كثيراً واعبده كثيراً وادعوه أن يعينك لتكمل مسيرة أبيك وتكون قدوة حسنة لابنك.

واعلم أن حياتنا ما هى إلا مجموعة من المراحل قدرها لنا الله سبحانه وتعالى ولكل مرحلة مزايا وابتلاءات أيضاً وعلينا أن نتقبل ذلك راضين شاكرين فلا ناسى على ما فاتنا ولانخشى مما هو آت واعلم أننا نوزن على قدر أعمالنا الصالحة وقلوبنا المحبة للخير فلا نحاسب على وجوهنا ووسامتنا.

وتذكر«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم».